بشار بن بُرد
(ت١٦٨هـ)

ولد بشار بن بُرد بن يرجوخ بالبصرة أوائل العقد العاشر من القرن الأول للهجرة، وإن صحّ كان فارسي الأب وروميّ الأم، ولدتُه أمه أعمى فما نظر إلى الدنيا قط. وفي ذلك يقول:

عميتُ جنيناً والذكاءُ من العمى فجئتُ عجيب الظنّ للعلم مونلا

حددت آفةُ العمى بشار منذ نعومة أظفارهِ فاتجه إلى المساجد وإلى مربد البصرةِ ينهل من حلقات العلم والشعر، وأعانته نشأته في بني عُقيل على أن يكتسب السليقة العربية. لم يكن يبلغ العاشرة حتى أخذ ينبوع الشعر يسيل على لسانه. وكان الهجاء هو الفن الذي شاع ليس بين جرير والفرزدق بل بين الشعراء جميعهم. فكان الهجاء أول موضوع ينظم بشار الشعر فيه حتى شكاهُ عدد من الناس لأبيه الذي ضربه بسبب ذلك الهجاء رحل نحو البادية لإتقان العربية.

ومكث فيها فترة من الزمن حتى تمكن من ذلك عاد إلى البصرة وإلى حلقات المتكلمين ومجالسهم وأقدم كذلك على فن المديح وغيره. ومن أقدم مدائحه في عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي العراق سنة ١٢٦هـ. وَرَدَ في شعرهِ عددٌ من الدلالات والمعاني التي أبرزت توجهه الملحد مثل قوله في مدح النار وعبادتها:

الأرض مظلمةٌ والنار مشرقةٌ والنار معبودةٌ مذ كانت النار

وفضل ابليس على البشر إذ يقول:

ابليسُ أفضلُ من أبيكم آدم فتنّبهوا يا معشر الفجارِ

ومضى يعلن زندقته فضلا عن غزله الحسي مما جعل واصل بن عطاء الواعظ يدعو إلى قتله، تعاون واصل بن عطاء مع اتباعهِ من معتزلةِ البصرة على طردهِ من البصرة فخاف بشار وتركها إلى حرّان. ولم يبلغ قصدهُ في مدحه لهشام بن عبد الملك ثمَّ إلى واسط ثمَّ أفلت الدولةُ الأموية وأقبلت راية العباسيين فانعقد لسان بشار ووفد على خالد بن برمك الذي عيّنهُ المنصور على ولاية فارس فمدحه فتغنّى بشعوبيته وفخر بقومه بعدها عاد إلى البصرة وشاع غزله الفاحش ويبدو لعقدة العمى والدمامة دورٌ في نظمهِ بهذا المجال ونفور النساء عنه، ثم اصطدم بحمّاد عجرد ونشبت بينهما معركة حامية في الهجاء.

تعقّب الخليفة المهدي الزنادقة ويقتل عدداً كبيرا منهم ويأخذ بشار في رثاء أصدقاءه حتى هجا المهدي ويقدم على البصرة ١٦٨هـ فيشهد امامه شهود ثقة بزندقة بشار فيأمر بضربه حتى الموت.

والمديح اهم غرض أوصل بشار بالتراث القديم فحافظ فيه على سنته الموروثة سواء من الرصانةِ والجزالة، ومن حيث المنهج الذي سارت عليه القصيدة المدحية ومنها قوله في مدح يزيد بن عمر بن هبيرة وقيل هي في مدح مروان بن محمد:

جَفَا ودَّهُ فازورَّ أو ملَّ صاحبه وأزرى به أن لا يزالَ يعاتبه

الرثاء عند بشار فنٌ طارئ أكثر من الهجاء والمديح والغزل والفخر يقول في الفخر:

إذا ما غضبنا غضبةً مَضرّيةً هتكنا حجاب الشمس أو تمطر الدما

وفي الغزل اشتهر بالتفنن فيه يقول:

Scanned by CamScanner

أبيتُ أرمدَ مالمْ اكتحل بكمُ وفي اكتحالٍ بكم شافٍ من الرَّمدِ

تغنّى بوصف الخمرة وكؤوسها وندمانها يقول:

رُبَّ كأسٍ كالسلسبيل تعلل تُ بها والعيونُ عني نيام

نظّم بشار في الرباعيات والمزدوج والمسمطات غير أنّه ظلّ محتفظاً للغة الشعر بأساليبها الجزلة الرصينة فيرق ويلين دون أن يصيب أساليبه الوهن والضعف. تمسك بشار بالموروث القديم واصوله التقليدية ونمّى ذلك ووازنه مع حياته العقلية الخصبة، وحياة الترف والمجون محاولاً التجديد في شكل القصيدة وموضوعاتها عامة.

وقد رققت الحضارة حسّه، وفتحت له أبوابا عديدة، لا سيما في الغزل، ومن ذلك قوله:

يا ليلتي تزدادُ نكرا من حبِّ من أحببت بِكرَا
حَوراءُ إن نظرت إليـ ك سقتك بالعينين خَمرا
وكأن رجع حديثها قِطَعُ الرياض كُسِينَ زهرا

وواضح من هذه القطعة أثر فقد بصره، فإنه لا يكاد يرتفع عن نطاق الشم والسمع واللمس والحس، وحاول أن يعتذر عن فقده لمتعة الجمال في فقده لبصره منذ ولادته فيقول:

يا قَومِ أُذُني لِبَعضِ الحَيِّ عاشِقَةٌ وَالأُذنُ تَعشَقُ قَبلَ العَينِ أَحيانا
قالوا بِمَن لا تَرى تَهذي فَقُلتُ لَهُم الأُذنُ كَالعَينِ تُوتي القَلبَ ما كانا
هَل مِن دَواءٍ لِمَشغُوفٍ بِجارِيَةٍ يَلقَى بِلُقيانِها رَوحاً وَرَيحانا

رُوحاً: بضم الراء الحياة الدائمة.

رَوحاً: بفتح الراء النسيم البارد اللذيذ شببها بحسن الملاقاة بها والمحادثة معها.

الراح: الخمر شبهها بالخمر في نشوة النفس وانبساطها بها.

القصيدة البائية التي قالها في مروان بن محمد ومدح قيس عيلان والفخار بهم التي مطلعها:

جفا وِدُّهُ فازْوَرَّ أو ملَّ صاحبُه وازرى بهِ أنْ لا يزالُ يُعاتِبُهْ
وكنّا إذا دبَّ العدوُّ لسُخطِنا وراقَبنا في ظاهرٍ لا نُراقِبُهْ
ركبنا له جهراً بكلِّ مثقَّفٍ وابيضَ تستسقي الدماءَ مضارِبُهْ
وجيشٍ كجُنح الليل يَزحفُ بالحصى وبالشَّوكِ والخطِّيِّ حمرٌ ثعالبه
غدونا له والشمس في خِدرِ أُمِّها تطالعنا والطّلُّ لم يجرِ ذائبُهْ
بضربٍ يذوقُ الموتَ من ذاق طعمَهُ وتُدركُ من نجّى الفرارُ مثالبُهْ
كأن مُثارَ النقعِ فوق رؤوسهم وأسيافنَا ليلٌ تهاوى كواكبُهْ
بعثنا لهم موت الفجاءة إننا بنُو الْمُلْكِ خفَّاقٌ علينا سَبَانبُهْ
إذا الملِكُ الْجبَّارُ صَعَّر خدَّهُ مَشَيْنا إليْه بالسُّيوف نُعاتبُهْ
إذَا كنت في كل الأمور معاتباً صَديقَكَ لَمْ تَلْقَ الذي لاَ تُعَاتبُهْ
فعش واحدا أو صِلْ أخاك فإنّه مقارفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهْ
إذَا أنْتَ لَمْ تشْرَبْ مِراراً علَى الْقذى ظمئتَ وأيُّ الناسِ تصفو مشارِبُه

Scanned by CamScanner

إيضاح المفردات:

الخطّيّ: الرمح نسبة الى الخط مكان تباع فيه الرماح.

ثعالبه: طرف الرمح الداخل في السنان.

دبَّ: مشى باستخفاء.

كالحصى: أي كثرة كالحصى.

مثالب: معايب.

الشوك: هنا السلاح.

الفجاءة: البغتة.

سبائبه: اعلامه ورياته قطعة من الكتّان.

القذى: ما يقع في العين فيؤذيها.

صعَر: داءٌ يصيب البعير فيلوي عنقه يعبّر به عن التكبر.

ازورّ: انحرف وتباعد.

القصيدة الثانية:

يا ليلتي تزدادُ نُكرا ... مِن حُبِّ مَنْ أَحْبَبْتُ بِكْرَا
حَوْرَاءُ إِنْ نَظَرَتْ إِلَيْـ ... ـكَ سَقَتْكَ بالعينين خَمرا
وكأن رجعَ حديثها ... قِطَعُ الرِّيَاضِ كُسِينَ زَهْرَا
وكأن تحت لسانِها ... هاروتَ ينفثُ فيه سِحْرا
وَتَخَالُ ما جَمَعَتْ عَلَيْـ ... ـهِ ثيابَها ذَهَباً وعِطْرَا
وكأَنَّهَا بَرْدُ الشرا ... ب صفا ووافقَ منكَ فطرا
جِنِيَّةٌ إِنْسِيَّةٌ ... أو بين ذاك أجلُّ أمرا
وكفاكَ أني لم أُحِطْ ... بشكَاةِ من أَحْبَبْتُ خُبْرَا
إلاّ مقالةَ زائرٍ ... نثرتْ لي الأحزان نثرا
متخشعاً تحت الهوى ... عشرا وتحت الموتِ عشرا
تنسي الغويّ معاده ... وتكون للحكماء ذكرا

الموازنة بين القصيدتين:

١-موضوع القصيدة الأولى في المدح والفخر ووصف الليل والناقة، بينما موضوع القصيدة الثانية في الغزل ودغدغة الغرائز وغزله كان متأثراً بالحياة الحضرية.

٢-القصيدة الأولى تتضمن أربعة وثمانين بيتاً تصلح للإنشاد، أما القصيدة الثانية فهي عشرة أبيات تصلح للغناء.

٣-القصيدة الأولى فيها معاني العفة ونقاء البداوة ألفاظها جزلة قوية تناسب موضوعها وكانت قوية الإيقاع والجرس، أما القصيدة الثانية ففيها الرقّة والرشاقة في ألفاظها ومعانيها وكانت سلسة.

Scanned by CamScanner

٤-القصيدة الأولى من البحر الطويل تناسب موضوعها في طول النفس لإيراد المعاني الغزيرة للممدوحين، أما القصيدة الثانية فهي من مجزوء الكامل.

٥-القصيدة الأولى تكمن الصعوبة في ألفاظها يحتاج الدارس إلى المعجم، أما القصيدة الثانية فسهلة التراكيب والمقاصد التي أرادها الشاعر من غير مراجعة للمعاجم اللغوي.

Scanned by CamScanner

الحسن بن هانئ وكنيتُهُ أبو نُواس
(ت ١٩٥ أو ١٩٩ أو ٢٠٠هـ)

النواس: هو الشَعَر المتدلي على عاتقِهِ وهو صبي وكان رقيقَ الطبع حلو الشمائل يحبُّ الظرفَ والدعابة.

ولادته:

ولد في الأهواز عام ٧٦٢م -١٤٥هـ حملته امُّهُ بعد موت أبيه إلى البصرة في عمر لا يتجاوز السنتين.

قال الشعر بعمر مبكر قيل دون العاشرة منه قوله:

حامل الهوى تعبُ يستخفّهُ الطربُ
إنْ بكى يحقُّ له ليس ما بهِ لَعِبُ

احبَّ من صغر سنه اللغة والشعر والأدب فأخذ يتردد على مجالس الأدباء وصادف أنْ التقى ببعض الأدباء المجّان الذين أثّروا فيه فانغمس باللهو والموبقات مع (والبة بن الحباب الأسدي) الشاعر الكوفي الخليع. ثُمَّ قدم أبو نُوَاس بغداد فتعرف إلى شعراء آخرين من الخلعاء لا سيّما (مطيع بن إياس -وحمّاد عجرد -ويحيى بن زياد) فسهّلوا له أسباب المجون وحرّكوا فيه القابلية الكامنة إلى حياة الترف والخلاعة.

خرج أبو نُوَاس إلى البادية ليتشبع من اللغة الفصيحة فأقام في بني أسد سنةً. قرأ القرآن الكريم على يعقوب الحضرمي حتى اتقنَهُ، ثُمَّ قدم بغداد بعد الثلاثين من عمره زمن هارون الرشيد واتصل بالبرامكة ومدحهم ونال جوائزهم. ولقد مدح الخليفة هارون الرشيد بعدة قصائد ونال جوائزهُ إلاّ أن الرشيد كان شديد الحرص على وقار الخلافة وتقاليد الدين فقرَّبَهُ منه على حذر ولطالما سجنه من جرّاء فسقه واستهتاره. وهذا من الأسباب التي دعتهُ للسفر الى مصر فالتقى هناك بأميرها الخصيب ومدحه بعدّة قصائد لم يطل به المقام لأنّ الخصيب ملَّ من الانفاق عليه. ولعل أجمل سنين حياته تلك التي قضاها خلال خلافة الأمين التي دامت خمس سنوات لأنه عاش معه في صباه وكان يوافقهُ في لهوه وطيشه.

وكانت حياة أبي نواس حياة طائشة صرفها في السكر وقضاها برفقة زمرة من المجّان الشاذين بين الخمرة والغناء والتهتك إلاّ أنه صحا في آخر حياته وأعلن عن توبته ببعض أبيات من الشعر ولقد مات سنة ٨١٣م -١٩٩هـ وقد قارب الرابعة والخمسين من العمر.

قال الشاعر: (البسيط):

دَع عَنكَ لَومي فَإِنَّ اللَومَ إِغراءُ وَداوِني بِالَّتي كانَت هِيَ الداءُ
صَفراءُ لا تَنزَلُ الأَحزانُ ساحَتَها لَو مَسَّها حَجَرٌ مَسَّتهُ سَرّاءُ
قامَت بِإِبريقِها وَاللَيلُ مُعتَكِرٌ فَلاحَ مِن وَجهِها في البَيتِ لَألاءُ
فَأُرسِلَتْ مِن فَمِ الإِبريقِ صافِيَةً كَأَنَّما أَخذُها بِالعَينِ إِغفاءُ
رَقَّت عَنِ الماءِ حَتّى ما يُلائِمُها لَطافَةً وَجَفا عَن شَكلِها الماءُ
فَلَو مَزَجْتَ بِها نوراً لَمازَجَها حَتّى تَوَلَّدَ أَنوارٌ وَأَضواءُ
دارَت عَلى فِتيَةٍ دانَ الزَمانُ لَهُم فَما يُصيبُهُمُ إِلّا بِما شاؤوا

Scanned by CamScanner

لِتلكَ أبكي وَلا أبكي لِمَنزِلَةٍ كانَت تَحُلُّ بِها هِندٌ وَأَسماءُ
حاشا لِدُرَّةَ أَن تُبنى الخِيامُ لَها وَأَن تَروحَ عَلَيها الإِبلُ وَالشاءُ
فَقُل لِمَن يَدَّعي في العِلمِ فَلسَفَةً حَفِظتَ شَيئاً وَغابَت عَنكَ أَشياءُ
لا تَحظُرِ العَفوَ إِن كُنتَ اِمرَأً حَرِجاً فَإِنَّ حَظرَكَهُ في الدينِ إِزراءُ

*الشرح والتحليل:

اللوم في طبيعة الانسان مذ أن خلقه الله، أمّا من أعطى لنفسه الحرية وخالف الدين والمجتمع والأخلاق العامة فذلك من باب أولى ألا يكترث باللائم.

الخمرة عند أبي نواس جوهر شفاف مشع منير يريد أنْ يمزجها بالنور لا بالماء لأن الماء يُضعفُ ويغيّر شفافيتها. في البيت الأول: يبين أن اللوم لا يهمُهُ لأن اللوم عنده أداةٌ للإغراء ويؤكد أن الخمرة أصبحت داءً له ودواءً وقد سُبِقَ الى هذا المعنى قال الأعشى:

وكأسٍ شربتُ على لذَّةٍ وأخرى تداويتُ منها بها

وقال مجنون بني عامر:

تداويتُ من ليلى بليلى عن الهوى كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

لكن بيت أبي نواس أكثر انسيابا وجمالاً من الناحية الاسلوبية. خمرة أبي نواس صفراء تطرد الهمَّ والحزن وتحرّك اللذة حتى في الحجر. البراعة في قوة التصوير ثم الانتقال الى وصف الجارية وقد لفَّها الظلام والليل وقد سقط النور على وجهها ذلك ما يذكرنا باللوحات الزيتية في القرون الوسطى في أوروبا.

يعود للخمرة من جديد فهي لطيفة جوهر تصلح أنْ تمازج النور وتجفو عن مشاركة الماء في شكله، وعلى هذا غالباً ما يُشبّه أبو نواس خَمْرَتَهُ بالأضواء والألوان المشعة (الكوكب، النهار، الصباح، الفجر، الشمس، المصباح، البرق، القبس، الشعاع، الشهاب، الضياء، الشعل).

نُدمانه من خيرة الناس ينعتهم بأكرم النعوت لأنهم إنْ لم يكونوا كذلك فهم لا يستحقون أن يشربوا من تلك الخمرة الرائعة.

إنهم قدريون يتلاعبون بالزمان فلا يصيبهم إلا بما يشاؤون أو هم يتحكمون بالزمان كالقدريين لا كالجبريين فبات الزمان طوع مشيئتهم. يذكر عرائس الشعر (هند وأسماء) فهو لا يبكي تلك الديار ففي القصيدة خروج على طريقة الشعراء في الوقوف على الأطلال. وهو يكشف عن مآربه فهو حريص على اللذة والمتعة. وفي النص نَفَسٌ حواري ونفسٌ شعوبي وهو لم يكتف بوصف الخمرة وإنما وصف الأجواء وما يحيط بها، ولذا فهو ينزه خمرته عن البدو سكان الخيام.

نموذجان في الموازنة:

قال الشاعر:

١- **لا تَبْكِ ليلى ولا تطْرَبْ إلى هندِ واشْرَبْ على الوَرْدِ من حمراءَ كالوَرْدِ**
كأساً إذا انحدَرَتْ في حلْقِ شاربِها أجْدَتْهُ حُمْرَتَها في العينِ والخدِّ
فالخَمرُ ياقوتةٌ والكأسُ لُؤْلُؤةٌ من كَفِّ جاريَةٍ مَمشوقَةِ القَدِّ
تَسْقيكَ من يدها خمراً ومن فمها خمْراً فما لكَ من سُكرَينِ من بُدِّ

Scanned by CamScanner

لي نشوتان، وللنّدمانِ واحدةٌ شيءٌ خُصِصْتُ به من دونِهِمْ وحدي

* * * *

٢-

يا دار ما فعلت بكِ الأيامُ ضامتْكِ والأيّامُ ليس تُضام
دِمَنٌ ألمَّ بها فقال سلامُ كم حلَّ عُقدةَ صبرِهِ الإلمامُ
ولقد نهزتُ مع الغُواةِ بدلوهم واسمتُ سرحَ اللهو حيث اساموا
وبلغتُ ما بلغَ أمرؤ بشبابه فإذا عُصارةُ كلِّ ذاك آثامُ
وتجشّمتْ بي هوْلَ كلّ تنوفةٍ هَوْجاءُ فيها جرأةٌ مقدامُ
تَذَرُ المَطِيَّ وراءَها فكأنّها صَفٌّ تَقَدّمَهُنّ وهي أمامُ
وإذا المَطيُّ بنا بَلَغْنَ محمّداً فَظُهورُهُنّ على الرّجالِ حَرامُ
قرّبْننا من خيرِ مَنْ وطئ الحصَى فلها علينا حُرْمَةٌ وذِمامُ
رُفِعَ الحِجابُ لنا، فلاح لناظرٍ قَمَرٌ تَقَطَّعُ دونَهُ الأوهامُ
مَلِكٌ، إذا عَلِقَتْ يداكَ بحَبْلِهِ لا تَعْتَريكَ البؤسُ والإعْدامُ

*** إيضاح المفردات:**

الضيم: الظلم وضامَهُ حقَّهُ أي نقصه إيّاهُ.
دِمنٌ: آثار الناس والديار.
ألمَّ في الامر: لم يتعمق فيه.
نهز الراحلة: دفعها للسير. المناهزة: المسابقة.
سَرْح: رعى بنفسه في ماله.
التنوفة: المفازة والأرض الواسعة القفر التي لا ماء بها من الفلوات.
هوجاء: الناقة المسرعة.
الأهوج: الأحمق الذي يلقي بنفسه في المهالك.

الشاعر في النموذج الخمري لا يقف على الأطلال وإنما يباشر في وصف الخمرة بينما في القصيدة المدحية يقف على الأطلال وذلك لأن الطلل يمثل تراث امة العرب وهو لا ينتمي إلى ذلك التراث وحتى في ذكره لعرائس الشعر فهي تمثل حياة العرب (هند، أسماء، ليلى) وتراث العرب، لذا فهو لا يلتزم بتراث امةٍ هو لا ينتمي إليه. وكان لأبي نواس حس دقيق وذوق مرهف، يعرف عن طريقهما كيف يختار أرق الألفاظ وأخفها في النطق وأحلاها في السمع. وأحسن في اختيار الألفاظ السهلة الميسورة حتى في المديح فعرضه بلغة عذبة تسيل خفة ورشاقة.

وفي أراجيزه ووصفه للصيد تمسك بالقوالب القديمة متخذاً الرجز أداة لهذا الوصف.

وتخير لمراثيه أسلوبا جزلاً مصقولا، وأكثر فيه من الغريب وامتاز رثاؤه بحرارة اللهجة وصدق العاطفة. اتهم بالشعوبية وان تميز عن بشار بأنه لم يكن يوازن بين خشونة البدو

Scanned by CamScanner

وحضارة الفرس كما فعل بشار، بل وازن بين الخشونة والحضارة العباسية المادية، وما يجري فيها من خمر ومجون، فثار ثورة جامحة على الوقوف على الطلل وبكاء الديار، ودعا الى التمتع بشرب الخمر بدلاً عن ذلك الوقوف والبكاء، يقول:

عاجَ الشقيّ على دارٍ يُسائلُه وعُجتُ أسألُ عن خَمّارةِ البلدِ
يبكي على طلل الماضين من أسدٍ لا دَرَّ دَرُّك قُل لي من بنو أسدِ

فلا حياة برأيه سوى حياة الخمر والمجون ويقول أيضا:

لا تبكِ ليلى ولا تطرب إلى هند واشرب على الورد من حمراء كالوردِ
كأساً إذا انحدرت في حلق شاربها أجدَتْه حُمرتها في العين والخدِّ

اتسع اتساعاً في ذكر الخمرة وتكاملت صورتها في شعره، و أفرد لها قصائد ومقطوعات، حتى أصبحت فناً مستقلاً له وحدته الموضوعية، فضلاً عن حلاوة النغم ورشاقة اللفظ، فوصف لونها وطعمها ورائحتها ومجالسها وسقاتها وغير ذلك.

وقد رآه بعض أصحابه في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟

فقال: غفر لي بأبيات قلتها في النرجس:

تفكر في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليكُ
عيونٌ من لجينٍ شاخصات بأبصار هي الذهب السبيكُ
على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريكُ

وفي رواية عنه أنه قال:

غفر لي بأبيات قلتها وهي تحت وسادتي فجاؤوا فوجدوها برقعة في خطه:

يا ربِّ إنْ عَظُمَتْ ذُنُوبي كَثْرَةً فلقد عَلِمْتُ بِأَنَّ عفوك أَعْظَمُ
إنْ كَانَ لاَ يَرْجُوكَ إلاَّ مُحْسِنٌ فَبِمَنْ يلوذ ويستجيرُ المجرمُ
أَدْعُوكَ رَبِّ كما أَمَرْتَ تَضَرُّعاً فَإِن رَدَدْتَ يَدِي فَمن ذا يَرْحَمُ
مَالِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلاَّ الرَّجَا وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمُ

Scanned by CamScanner